

السياق ودوره في تحديد دلالات الأصوات المكتوبة
The Context and Its Role in Specifying of Phrased Voices'
Significances

Dr. Muhammad Zubair Abbasi

*Assistant Professor, Department of Linguistics, Faculty of Arabic
International Islamic University Islamabad*

Dr. Nazir Ahmad

*Lecturer, Department of Translation and Interpretation, Faculty of Arabic,
International Islamic University Islamabad*

Dr. Arif Siddiq

*Assistant Professor, Department of Translation and Interpretation, Faculty of
Arabic, International Islamic University Islamabad*

Abstract

This article attempts a systemic discussion of the basic principles and fundamentals that would help discover the meaning enshrined in a word or sentence and determine their semantic value in the context of a single sentence or the book at large. This is what is known as context which forms the basis for the understanding of the intended meaning of the writer. This is very important because the reader will not be able to grasp the exact or proper meaning of a text merely by reading it on its facial value without having requisite information about the context or events or other situational evidence or any other issue that may help in a proper understanding of the text.

Keywords: Context, Phrased Voices, Significances

المقدمة

فإن اللغة ظاهرة إنسانية لا تلقى في فراغ وهي ليست مجرد ضوضاء تلقى في الهواء وإنما تفهم ووظائفها "في ضوء ظروف ومناسبات ومقام تؤدي فيه"¹، وكذلك دلالات مفردات اللغة تتغير بمرور الزمان عليها وحسب استخدامها في المجتمعات المختلفة. وقد أشار إلى هذه الحقيقة ابن جني - رحمه الله - [ت: 392 هـ] حينما عرّف اللغة قائلاً: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"². بدأ لنا من تعريفه أنه بلور أن اللغة أصوات ولها وظيفة اجتماعية وهي نقل الأفكار من عند المتكلم إلى المخاطب وكذلك أن كل قوم له لغة متجانسة فيما بينهم وركز منها على شيئين، هما الأصوات ووظائفها. صرح ابن جني أن اللغة أصوات، وما ذكر الرموز والإشارات مع كونها داخلية في اللغة كما ذكر المحدثون الذين عرّفوا اللغة بأنها "نظام اعتباطي لرموز صوتية تستخدم لتبادل الأفكار والمشاعر بين أعضاء مجموعة لغوية متجانسة" وإذا شرحنا كل جزء من أجزاء هذا التعريف يتبين لنا منه شمول هذا التعريف لجميع جوانب اللغة مثلاً كلمة "النظام" توحى لا بد من أن تخضع اللغة لنظام قوي مرتب صوتياً كان أو صرفياً أو نحوياً وكلمة "اعتباطي" تدل على أن هذا النظام من الله سبحانه وتعالى و"رموز صوتية" تعنى لغة الإشارات وقد تقصد بها الأشكال الألفبائية التي تدل على الأصوات ولا يخفى علينا أن اللغة المنطوقة أصلية كأنها صورة العملة الأولى واللغة المكتوبة فرعها كأنها صورة العملة الثانية. مادام هناك تلازم بين اللفظ المنطوق واللفظ المكتوب في الدلالة نقول: إن النطق أساس للكتابة، فلا بد من مراعاة سياقات منطوقة مثل التنغيم والترخيم والتفخيم والترقيق والنبر وغيرها من السياقات لمعرفة دلالات الكلمات المكتوبة. ونضيف إلى ذلك أن اللغة تطلق على التعبيرات البشرية التي تعالج حاجات البشر الذي يحتاج إليها في مراحل حياته، سواء أكان ذلك التعبير منطوقاً أم مكتوباً. وسنعالج في هذا البحث بعض الوظائف الصوتية المتولدة من الأصوات المكتوبة التي ما تم فهمها إلا بمعالجة مواقفها وسياقاتها، فالصوت قد يكون واحداً غير أن دلالاته قد تعددت حسب استعماله في سياقات مختلفة نحو سياقه المقالي والمقامي. ومن أجل ذلك هو موضوع قد نال أقصى الغاية من الأهمية لدى أصحاب اللسانيات الحديثة حيث درسوه في علم اللغة الحديث كنظرية مستقلة وذكروا له عدة دعائم. ويكون ميدان دراستنا "روايات باكثير" ومن خلالها نتعرض لبعض الأصوات ووظائفها لتكون نموذجاً للقارئ في معرفة الدلالات المختلفة للبنية الصوتية المكتوبة. ونعلم جيداً أن لكل صوت غاية وهدف ووظيفة، وهي ما تسمى بالمعاني الصوتية الدلالية أو الإحياءات الصوتية أو الإشارات الصوتية.

اخترنا روايات باكثير وتركنا المسرحيات والشعر، لأن رواياته أكثر تداولاً وأسهل تناولاً ولا يشعر قارئها بأية معاناة في فهم مرادفاتنا، ونضيف إلى ذلك أن باكثير قد أصبح مدرسة أدبية مستقلة وصارت أعماله مادة دراسية في الجامعات العربية وغيرها للأدب الإسلامي، فهو رائد هذا المذهب ومؤسس هذه

المدرسة الجديدة، لأنه أول من بذر بذورا روائية ومسرحية تاريخية إسلامية وجُلُّ رواياته تنهل مادتها من التاريخ الإسلامي، وتشرب من مشاربه، فنجد رواياته ومسرحياته تدور حول الأحداث الإسلامية مع أن باكثر ذو مشربين: مشرب التراث العربي ومشرب التراث الإنجليزي. فما نكسه الأدب الأجنبي وما انتكس به، واستفاد منه ما ناسب وترك ما لا جدوى فيه، فصار نموذجا حسنا للأجيال القادمة. ومن يريد أن يخوض في هذا الموضوع فعليه أن يقرأ النصوص التي يريد فهمها مرارا ومرارا، لأن استخراج إichاءات النصوص ليس أمرا هينا بل هو يطلب من باحثه أن يتعمق فيها ويستوعبها ليصل إلى فهم دلالات هذه النصوص. ويجدر بنا هنا أن نذكر نبذة عن ترجمة الكاتب لأنه هو صاحب مدرسة تلتف حولها عقول إسلامية فذة.

على أحمد باكثير [ت: 1389 هـ]:

اسمه ونسبه: على بن أحمد بن محمد باكثير الكندي.

مولده ونشأته: ولد 15 من ذي الحجة 1328 هـ، في جزيرة سوروبايا بأندونيسيا لأبوين يمينين من منطقة حضرموت. وقد ظهرت مواهبه الأدبية الأولى هناك وهو في باكورة شبابه حيث أخذ ينظم الشعر وكان في الثالثة عشرة من عمره، يقول باكثير عن نفسه: "فلم أدع ديوانا لشاعر من الأقدمين والمحدثين وقع في يدي إلا قرأته التهاما"³.

باكثير والمسرحية: كان مثله الأعلى في الأقدمين أبو الطيب المتنبي وفي المحدثين أحمد شوقي ولم يطلع على شئ من مسرحياته إلا بعد أن رحل عن حضرموت، وكانت مسرحيات شوقي هي أول ما عرفها من هذا الفن، وزاد إعجابُه بهذا الفن حيث وجد فيه أن الشعر تحول إلى حوار ومساجلة بين شخصين، فتأثر بها تأثرا شديدا، حيث قال: "فقد هزني من الأعماق وأراني لأول مرة في حياتي كيف يمكن للشعر أن يكون ذا مجال واسع في الحياة حين يخرج عن نطاق ذاتية قائله إلى عالم فسيح يتسع لكل قصة في التاريخ أو حدث من الأحداث"⁴. وتفوق فيه حينما درس الأدب الإنجليزي بوعي كامل، وخاصة ما يتعلق منه بالمسرحية، فوجد نفسه أكثر انجذاباً إليها دون فنون أخرى مثل القصة والأقصوصة والملاحم والشعر القصصي وما إلى ذلك.

وجهة نظره في كتابة المسرحية: ما دمنا قد تكلمنا عن حياته الأدبية، فينبغي لنا أن نذكر رأيه في فن المسرحية، لأنه تفوق فيه، وأبدى آراءه أمام الطلاب حينما دعي إلى إلقاء محاضرات في المعهد العربي وقال فيها: "هل على من يريد أن يتصدى لكتابة المسرحية أن يدرس أولا أصول التأليف المسرحي أم يكفي في ذلك وجود الموهبة لدى الكاتب؟ والجواب على ذلك أنه لا بد من وجود الموهبة على أي حال ولكنها لا تكفي وحدها بل يجب الإمام بأصول التأليف المسرحي"⁵. ثم بين الأساسيين الهامين الذين يجعلان كُتَّاب المسرحية ذوي براعة وحذاقة ومهارة، أحدهما: الدراسة المباشرة للكتب الموضوعية في هذا الميدان. وثانيتها: المواكبة والمواظبة على تتبع أعمال الكُتَّاب المسرحيين وتأملها وخاصة في أعمال

الكُتَّاب الذين لا غبار على شهرتهم وفضلهم ثم استخلاص القواعد من النماذج الصالحة وقال: "هذه الطريقة الثانية أفضل وأنجح، وأكمل من ذلك كله أن يجمع الكاتب بين الطريقتين، بأن يكثر من قراءة النماذج الصالحة ويعيد قراءتها والتأمل فيها مرة بعد مرة وأن يدرس في الوقت ذاته الأصول النظرية للتأليف المسرحي ويحاول تطبيق ما يقرأ منها على النماذج التي بين يديه"⁶.

باكثر وفن الشعر: كان باكثر مولعاً بالشعر، وقاده ولوعه به إلى دراسة الأدب الإنجليزي رغم أن ثقافته الأولى هي العربية الخالصة، فقال عن نفسه: "فعمزمت على أن أدرس الأدب الإنجليزي لما بلغني أنه غني بالشعر الرفيع، فقد كانت غايتي إذ ذاك بعد أن أصقل موهبة الشعر عندي وأعد نفسي لأكون شاعراً كبيراً وعسى أن تفتح لي هذه الدراسة آفاقاً جديدة في الشعر"⁷. فما لبث أن فاض فؤاده وقلمه شعراً رائعاً.

غُيِّرَتِ على اللغة العربية: سمع يوماً أحدَ مدرسيه الإنجليزي يتحدث عن الشعر المرسل ويقول إن اللغة الإنجليزية اقتصت بالبراعة فيه وتفوقت على سائر اللغات وإن كان الفرنسيون حاكوه، غير أن تجاههم في ذلك كان محدوداً، ثم قال: "ومن المؤكد ألا وجود له في لغتكم العربية ولا يمكن أن ينجح فيها"، فاغتاز "باكثر" حرصاً وغيره على اللغة العربية، وردَّ عليه قائلاً: أما إنه لا وجود له في أدبنا العربي فهذا صحيح لأن لكل أمة تقاليداً فنية وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية. ولكن ليس هناك ما يحول دون إيجاده في اللغة العربية فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر"⁸. وهذا التحدي قاده إلى أن يدحضه بالفعل فما أن انصرف من الفصل حتى بدأ يفكر في نظم هذا النوع، فخطر له أن يترجم فصلاً من مسرحية شكسبير على هذه الطريقة ليتيسر له الطريق في هذا المسلك الوعر فيثبت نجاحه في هذا الميدان. وحينما تمَّ له ذلك العمل، ألف مسرحية على هذه الطريقة ب اسم "إختانون ونفرتيتي"، وبذلك أصبح رائد هذا النوع من النظم في الأدب العربي.

السياق

السياق يؤدي دوراً كبيراً في تحديد الإيحاءات الصوتية وهذه الإيحاءات قد تنشأ من المقال وقد تنشأ من المقام، والأحداث دائماً تصاحب الأداء اللغوي في إعطاء المعنى وقد تصاحب المواقف الخارجية في إفراز الغرض وإيفاء المطلوب، وعلى أية حال، فإن الدلالة المطلوبة من النص المنطوق أو المكتوب يحتاج في فهم المضمون إلى ما يدل عليه السياق، وقد نقول في المحادثة العادية: إننا قد فهمنا هذا المعنى بسبب كذا وقد فهمنا ذلك المعنى لأجل كذا وكذا، وإذا كانت الأسباب والدواعي والإشارات والإيحاءات التي تقوم بهذا الواجب هي من الصياغات اللغوية، فإنها تسمى عند أصحاب اللغة ب السياق اللغوي، وإن كانت من المواقف الخارجية عن الأداء اللغوي فإنها تسمى ب السياق غير اللغوي.

فالسياق له دور رائد في إنهاء المعنى وإعطاء المفهوم الصحيح للكلام حسب ما تقتضيه الأحوال والمناسبات سواء أكانت هي من الأحوال والقرائن اللغوية أم من غيرها. وهنا نذكر ما قاله الدكتور تمام

حسان في كتابه "البيان في روائع القرآن" تحت قرينة السياق⁹: "وهي ما يكتنف السياق من قيود تركيبية أو أشراف إفادة أو هما معا". ثم يذكر بعد ذلك أمثلة، فنأخذ منها مثالا وهو قول الكميت بن زيد الأسدي:

طَرَبْتُ وَمَا سَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ وَلَا لَعِبًا مَيِّ وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟ [الطويل]

فيقول في شرحه¹⁰: "فقوله: «وذو الشيب يلعب» بحكم صورته يصلح أن يكون تركيبا خبريا ولكنه في هذا البيت لا يصلح لذلك، لأنه ليس من المعتاد ولا من المعقول أن يكون اللعب ديدن أي: الدأب والعادة ذي الشيب، ولو ادعينا أن الشاعر يقصد بعض ذوي الشيب دون كلهم، للزم أن تشتمل العبارة على ذكر "قد" فتصير العبارة بهذا "وذو الشيب قد يلعب" وهي ليست مذكورة في العبارة، فلم يبق إلا أن يكون المعنى على الاستفهام الإنكاري وأن تقدر الهمزة، فيكون المعنى «أو ذو الشيب يلعب؟»".

السياق لغة

قال الأزهري [ت: 370 هـ]: "قال أبو عبيد: سُئِلَ الْإِنْسَانَ أَسَوْقُهُ سَوْقًا: إِذَا أَصَبَتْ سَاقَهُ، وَتَسَاوَقَتِ الْإِبِلُ تَسَاوُقًا: إِذَا تَتَابَعَتْ"¹¹. وفي الصحاح للجوهري [ت: 398 هـ]: "ساق الماشية يسوقها سَوْقًا وَسِيقًا، فَهُوَ سَائِقٌ وَسَوْاقٌ شُدِّدَ لِلْمَبَالِغَةِ... وَاسْتَأَقَهَا فَانْسَاقَتْ وَسُئِتْ إِلَى امْرَأَتِي صِدَاقَهَا"¹². قال الزبيدي [ت: 1205 هـ]: "ومن المجاز: وَلَدَتْ فَلَانَةٌ ثَلَاثَةَ بَنِينَ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ... وَسَاقَ الْمَاشِيَةَ سَوْقًا وَسِيقًا بِالْكَسْرِ وَمَسَاقًا وَسِيقًا كَسْحَابٍ وَاسْتَأَقَهَا وَأَسَاقَهَا فَانْسَاقَتْ... وَالْمَسَاوِقَةُ: الْمَتَابَعَةُ كَأَنَّ بَعْضَهَا يَسُوقُ بَعْضًا"¹³. عرفنا مما ذكره الأزهري من معان لغوية للسياق وهي التتابع وما تعرض لها الجوهري من معنى الإيراد أو إجراء شئ نحو التقدم، وما جمع الزبيدي بين هذه المعاني من التوالي والتتابع، وما يقدم إلى شئ ما. فكل هذه المعاني توضح مدلول كلمة "السياق" لدى اللغويين المحدثين.

السياق في الاصطلاح

إن هذا اللفظ قد تداوله العلماء منذ قديم، وكانوا يعبرون عنه إما بنفس الصيغة وإما بتعبيرات تقاربها في إفادة معناه، نحو القرينة والشاهد والحال وغيرها من التعبيرات حسب تخصصاتهم المختلفة. ظهر "السياق" في علم اللسانيات الحديثة مصطلحا بارزا ونظرياً مستقلة، فأخذ العلماء يوضحونه من خلال أبعاده اللفظية والمعنوية وهذا الصنيع قد عرف تنظيرا وتقينا عند علماء الغرب. أما دراسته بكل عمق ووعي على مستويات علمية، فقد سبقهم علماء العرب في ذلك وعالجوه في مؤلفاتهم بكل جِدِّ وعناية. فهي هو بشر بن المعتمر [ت: 210 هـ] نجد أنه تعرض لنمطي السياق - المقالي والمقامي - في صحيفته المشهورة بـ "الرسالة" ونقلها الجاحظ [ت: 255 هـ] بتمامها في كتابه "البيان والتبيين" تحت العنوان: "كلام بشر بن المعتمر" وعبارته كما يلي: "وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"¹⁴. وقوله "وإنما مدار الشرف على

الصواب وإحراز المنفعة...". يشير بصراحة إلى أهمية السياق اللغوي، لأن نظم الكلام لا يمكن دون قواعد النحو وإعراب الكلمات إعراباً صحيحاً. وأما قوله "مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال..." فيدل على السياق غير اللغوي، لأن مراعاة الظروف والأحوال التي تطرأ على النص وموقفه لا يكون إلا باستناده إلى السياق المقامي. ويضيف إلى ذلك قائلاً: "وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"¹⁵. فيبدو من كلامه أنه قصد به عناصر السياق غير اللغوي. وقد أدركها، فوعاها ثم استخلص نتيجة نهائية وليس في قوله ما يُردُّ عقلاً ودرايةً، فإن اعتبار الكلمة ومصاحباتها ومواقفها التي استخدمت فيها وأقدار الأشخاص الموجودين فيها وتأثيرهم فيها... كل هذه العناصر تدل على أن "السياق" موجود في اللغة العربية، وتدركه العقول الفذة. ولا بد لنا أن نسوق قول الإمام عبد القاهر [ت: 471 هـ] أيضاً فإنه صرح بالجانب اللغوي للسياق عند حديثه عن النظم، فقال: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها"¹⁶. ويؤيد قوله ما ذكره الدكتور تمام حسان عند حديثه عن "المقال" بأنه يختلف في نظر البلاغيين بحسب "المقام"، فقال: "ومن عباراتهم الشهيرة في هذا الصدد قولهم: "لكل كلمة مع صاحبها مقام"... ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة "المقام" متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي "المقام" و"المقال" باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"¹⁷. ففي قولهم: "لكل كلمة مع صاحبها مقام" إشارة إلى نوعي السياق، اللغوي وغير اللغوي، فالجزء الأول "لكل كلمة مع صاحبها" يشير إلى السياق اللغوي والجزء الثاني منه "مقام" يشير إلى السياق غير اللغوي.

ونجد الإمام الشافعي [ت: 204 هـ] أنه أول من عرض لسياق النص بجملته عند كلامه عن أساليب القرآن الكريم في خطابه للعرب. فقال: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه. وعاما ظاهرا يراد به الخاص. وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره. وتبتدئ الشيء من كلامها يُبَيِّنُ أَوَّلَ لَفْظِهَا فِيهِ عَن آخِرِهِ، وَتَبْتَدِئُ الشَّيْءَ يُبَيِّنُ آخِرَ لَفْظِهَا مِنْهُ عَن أَوَّلِهِ"¹⁸.

ثم تابعه الأصوليون في تبسيط القضايا واستنباط المسائل في ضوء المعايير التي وضعوها حول دلالة النص وإشارة النص وما إلى ذلك، وهذه المصطلحات وغيرها تنص على أنهم كانوا مدركين للسياق

اللغوي وغير اللغوي بكل وعي. فعلماء الأصول يحتمون على من يتصدى لاستخراج المسائل من القرآن الكريم مراعاة أمورٍ تاليةٍ، يجمعها "المقام"¹⁹:

- 1- أن تكون لديه معرفة كافية وواقية في تفسير بعض الآيات ببعضها الآخر، وهو ما يسمى بـ تفسير النص بالنص، فما أُجْمِلَ منه في موضع فإنه قد فُصِّلَ في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان، فإنه قد بُسِّطَ في مكان آخر.
- 2- أن يعرف مدى علاقة السنة في تفسير النص القرآني، فإنها شارحة للقرآن الكريم وموضحة له.
- 3- فإذا لم يجد التفسير في السنة، فليرجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك لما شهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله. وإذا لم يجد عندهم، فليرجع إلى التابعين وتابعي التابعين...
- 4- أن يعرف اللغة العربية وفروعها، لأن المعاني تختلف باختلاف الإعراب ومن هنا مست الحاجة إلى اعتبار النحو والتصريف وغيرهما من المعاني والبيان والبديع...
- 5- أن يعرف أصول العلوم المتصلة بالقرآن الكريم والنظم الاجتماعية عند العرب وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرهما من علم القراءات والتوحيد...

ذهب علماء التفسير إلى التزام بعض الأمور الدقيقة، فأوجبوا على الباحث - إذا تناول تفسير القرآن الكريم وغرق في استخراج المعاني من ألفاظه - أن يعرف العلاقة النحوية أو الترابط النحوي بين الآية وأختها وأن يعي تناسب الآية مع الأخرى وأن يدرك مدى علاقة النصوص المتقاربة والمتباعدة، ليصل إلى المراد الصحيح منها، وهذا مشروح لديهم عند حديثهم عن التفسير بالمأثور. وأدلى بدلوه في هذا الموضوع الباحثون المحدثون وأخص بالذكر منهم مالينوفسكي Bronislaw Kasper Malinowsky [ت: 1942م] الذي استعمل مصطلح Context of Situation سياق الحال الماجريات في الملحق الذي دججه في كتاب "The Meaning of Meaning معنى المعنى" لأوجدن وريتشاردز. ويقول الدكتور محمود السعران إن كلمة "Context" كانت متداولة بين اللغويين قديما ولا تزال متداولة بينهم ولكن مالينوفسكي أضفى على ذلك الاصطلاح - سياق الحال - معنى خاصا...²⁰ وإلا فقد جرى اصطلاح Context على أقلام الكثيرين من الكتاب في دراسة المعنى بمعان مختلفة باختلاف فرع المعرفة الذي يستخدم فيه الاصطلاح، وأحيانا باختلاف الكتاب في نفس الفرع حتى لقد لحقه بعض الغموض...²¹ وكذلك فيرث John Rupert Firth [ت: 1960 م] وبالمر Palmer فهؤلاء من الأوائل الذين رفعوا علم سياق الحال أو الموقف من المحدثين، ثم احتذى الآخرون حذوهم ناقلين عنهم أن الكلام لا يتم معناه إلا إذا انضم إليه سياق الحال أو المقام بجملة عناصره. ورأي فيرث في السياق غير اللغوي أكثر ملائمة بما ورد في التراث العربي لاهتمامه بالجوانب اللغوية ولقربه من فهم علمائنا العرب للسياق أو المقام.²² استعار فيرث نظرية سياق الموقف contextual theory of meaning or context of situation من

مالينوفسكي ثم طورها بما أفاد عناصر سياق الموقف، فهو اشتهر بدراسته للفظ والمعنى وعلاقة المعنى بالسياق وتدخلاته في تعيين المواقف اللغوية أثناء المحادثة وغيرها²³.

أقسام السياق

ينقسم السياق إلى قسمين رئيسين: السياق اللغوي ويسمى بـ المقالي أو سياق النص. والسياق غير اللغوي ويسمى بـ الحالي أو السياق الدلالي.

السياق اللغوي: هو الذي يحدد معنى الكلمة في النظم من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ ﴾ [سورة يوسف: 13] وقوله تعالى: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ [سورة الأعراف: 73] وقوله تعالى: ﴿ أَيُجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا، فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [سورة الحجرات: 12] وقوله تعالى: ﴿ حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ [سورة آل عمران: 183] وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَرَانِي أحمِلُ فَوْقَ رَأْسِي حُزْبًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾ [سورة يوسف: 36]. ففي الآية الأولى مادة "الأكل" بمعنى الافتراس والعدوة²⁴ وفي الآية الثانية بمعنى الرعي والشرب²⁵ وفي الآية الثالثة بمعنى الغيبة والاعتياب²⁶ وفي الآية الرابعة بمعنى إذهاب الشيء والإفناء والإحراق²⁷ وفي الآية الخامسة بمعنى المضغ والبلع والنهش²⁸. وقد حددت هذه المعاني لهذه الكلمات في إطار جمل وفقرات استخدمت فيها ولا يمكن لنا أن نقلب معاني "الأكل" حسب ما نرتضي في الآيات السابقة حيث أن نعطي معنى "الأكل" في الآية الأولى لكلمة "الأكل" في الآية الثانية ومعنى "الأكل" في الآية الثانية لما ورد في الآية الثالثة وهكذا دواليك. بل يجب علينا اعتبار المقال والمقام للوصول إلى الدلالة المطلوبة.

عناصره: فالسياق اللغوي له أربعة عناصر ما لا مناص منها في الوصول إلى المعنى، وهي في نفس الوقت تتمثل خطوات توصل إلى المراد. وهي: النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي والنظام المعجمي. وقد أضاف بعض الباحثين عنصرين آخرين إلى هذه الأربعة وهما: المصاحبة والأسلوب. فقصدوا بـ "المصاحبة" ما أشرنا إليه سابقا أن تصحب الكلمة بكلمة تحدد معناها وتعين مرادها، نحو كلمة "الاحتداد" بجوار كلمة "صاح" في قولنا: صاح محتدا، فمعنى "صاح" هنا "الغضب" لدلالة الكلمة المجاورة عليه. وعنوا بـ "الأسلوب" الصورة البلاغية من التشبيه والاستعارة وغيرهما. فالجملة قد تكون ذات دلالة صرفية نحوية معجمية، غير أن مصاحبة الكلمات فيها بعضها ببعض قد تفرز المعنى لا يدل عليه شكل الجملة أو النص بل تدل على المعنى غير المعنى المعجمي، مثلا قولنا: زيد كثير الرماد. لا يدل على أن زيدا كثير الرماد بل يدل على أنه صاحب كرم وجود وسخاء. ولكن لو وقفنا هنا وقفة متأنية لنفهم أن الأساليب البلاغية وإن كانت في حد ذاتها تدخل تحت السياقات اللغوية غير أنها في أداء نشاطاتها الدلالية تحتاج إلى السياقات غير اللغوية، لأن تحديد المعنى من التركيب الخاص الذي سيق له الكلام يطلب منا القيام بدراسة المواقف والمناسبات والأشخاص والمتكلم والمخاطب والظروف الزمانية والمكانية وما إلى ذلك. وكل هذه المكونات جزء من السياق غير اللغوي.

السياق غير اللغوي: عرفه الدكتور تمام حسان ب توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال وتوجيه الدلالة وفهم المعنى ومن هذه الناحية تسمى ب سياق الموقف²⁹، أو بتقدير آخر هو ربط الأحداث اللغوية بالمواقف الاجتماعية المحددة التي تقال فيها هذه الأحداث³⁰.

عناصره: عناصر السياق غير اللغوي منحصرة في أشياء: أحدها: طبيعة الكلام حسب الموقف والثاني: طبيعة المخاطب والمتكلم والثالث: طبيعة الأشخاص الموجودين هناك والرابع: طبيعة الأشياء المتحدث عنها والخامس: طبيعة النشاطات الصوتية والجسدية وغيرها من الملامح والسادس: مراعاة الزمان والسابع: مراعاة المكان. يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "لكي يفهم السامع المراد من هذه العبارة لابد أن يكون قد مر قبل سماعها بتجارب كثيرة يستعين بها على الإحاطة بظروف هذا الكلام وملابساته. ولا يتم فهمه لها بغير الوقوف على تلك الظروف والملابسات التي منها صلة المتكلم بالمتحدث عنه، بل وصلة المتكلم بالسامع، وما يمكن أن يتضمنه المشروع الذي يدور حوله الحديث من إمكانيات مالية وفنية وترتيب وتنظيم...".³¹ ونعود قليلا إلى ما قد قلناه في بداية هذا البحث لیتسنى لنا فهم موضوع هذا البحث، قلنا إن اللغة تعنى التعبيرات البشرية التي تعالج حاجات البشر الذي يحتاج إليها في مراحل حياته، سواء أكانت هذه التعبيرات منطوقة أم مكتوبة، ونضيف إلى هذا أن هذه التعبيرات قد تكون غير إرادية مثل الانفعالات الطبيعية نحو السرور والحزن والضحك والبكاء وانبساط الأسارير وانقباضها واحمرار الوجه واصفراره وما إلى ذلك. أما التعبيرات التي تكون إرادية ومقصودة، فقد تكون بصرية وقد تكون سمعية، أما البصرية، فهي التي تصل إلى المخاطب عن طريق حاسة البصر وهي تشمل جميع الإشارات التي تستخدم بقصد الدلالة سواء أصبحت هذه الحركات جزءا من كلامنا أو كانت إحياءات فقط كتحريك الرأس إلى الأعلى عند الموافقة وقد تكون إشارات أصيلة، أو ما تعرف الآن ب لغة "الإشارات". أما التعبيرات التي تكون سمعية، فهي تعنى ما تصل إلى المستقبل والمتلقي أو السامع عن طريق حاسة السمع. هذه التعبيرات هي ما تطلق عليها "اللغة" نظرا إلى دائرة جماعية أو "الكلام" نظرا إلى فرد من الأفراد المتكلمين وهي تتكون من الأصوات المركبة، هذه الأصوات لا تعنى الكلمات والعبارات والأساليب العامة بل إنها تعنى الأصوات المكتوبة التي تدل على دلالة، يرمز إليها من خلال الحديث المنطوق بناء على السياقات اللغوية التي تتألف منها الكلمات والجمل، والسياقات غير اللغوية التي تؤلف مدلولات الجملة أو النص... وتعيينها دون أدنى شك. هذا الكلام المنطوق المعبر عنه بالكلام المكتوب قد يكون صوتا في ذاته نحو تأفف، فإنه صوت منطوق ومكتوب حيث وضع لدلالة صوتية معجمية تدور حولها، فقد تكون دلالتها وضعية كما نسمع أحدا وهو يتأفف، فنفهم مباشرة أنه متأفف فحسب، وقد تصاحبها دلالات أخرى بما تضيفي عليها من معان حسب السياقات، كما نفهم من قول المجيب إذا ضاق صدره، فيستكره الإطالة ويجيب متأففا، فمن الطبيعي أن دلالاته المقالية "التأفف" ولكن دلالاته المقامية تضيف إليه معان أخرى نحو التضجر والكره أو الكره والضجر،

وكذلك إذا يئس الكبير من امتناع الصغير وضاع أمله فيه فيجيب متأففا متكرها بـ نعم، فهنا دلالة "التأفف" نوع من الألم وخيبة الأمل مع شيء من التأفف. وقد لا يكون الكلام المكتوب صوتا في ذاته ولكنه متصل بالصوت، يفيض دلالة صوتية بانضمامه إليه، وحينئذ تكون دلالاته خاصة حسب السياق نحو "التبرم"، فلا يعطي هذا اللفظ دلالاته الصوتية ما يحتاج إليها السامع لعدم كونه صوتا بالوضع، إلا إذا اتصل بسابقة أو لاحقة نحو قولك: قال بصوت أو لهجة فيها تبرم، فالسياق حدد هنا أن "التبرم" يعنى الغضب أو الغيظ وعدم الرضا. فالأصوات التي سنتناولها هي أصوات مكتوبة وتسمى بأشكال الأصوات التي تنبئ عن دلالاتها وفقا للسياقات التي تستخدم فيها. ومما يلفت الانتباهات هو أن الأصوات ودلالاتها المرادة منها في هذه الصفحات لا تعنى ما تحدث من البنية مثل كلمة "صَرَزَ" أي: الناقاة بمعنى بالغ في صَرَها بالنسبة إلى مجردة وهو "صَرَ" بمعنى شد ضرع الناقاة بالصرار لئلا يرضعها ولدها، فالبناء الرباعي أكثر دلالة من الثلاثي كما هو معروف، بل تعنى هنا ما تندفع من الأصوات الشكلية من أجل القرائن والسياقات الداخلية مثل الكلمات التي تؤمى إلى دلالة صوت المفرد أو التكرير أو التنغيم أو ما يدل من خارج النص وترمز إليه السياقات الخارجية.

تندرج الأصوات المكتوبة دائما تحت السياق اللغوي، والكاتب يتعرض لبيان النطق وطريقة أدائها الصوتية موضحا حالة القائل عند قوله مثلا "قال غاضبا" أو "قال فرحا" أو "قال ضاحكا" وهكذا، وهذا ما يساعد على الوصول إلى المعنى المراد.

الخاتمة

فالصياح قد يدل على غلظة القول أو الغضب والجزر أو الحزن والتلهف والحسرة أو الإباء والسخط أو الاستغائة أو الملال أو المرح والفرح أو الشوق والحب والولوع أو التشجيع والإغراء أو الطرب والحيرة وغيرها من الدلالات المختلفة التي تنبثق من خلال السياقات اللفظية والمعنوية، كقول القائل: حتى صاحت في وجهه محتدة. فهنا دلالة صوتية يوحى إليها تدخُّل صوتي من قبل الكاتب مثلا كلمة "صاحت" دلت على "الصياح" وأيدت هذه الدلالة كلمة "محتدة" التي دلت على غلظة القول وشدته وساعده في تحديد هذه الدلالة سياق النص وسباقه. إذا، فدلالة كلمة "صاحت" هنا تعينت من خلال هذه القرائن والأحوال التي ورد فيها هذه الكلمة. ومن مظاهر الدلالة الصوتية "النعمة الكلامية" وتؤدي هذه النعمة دوراً هاماً في بعض اللغات وقد وضحه الدكتور إبراهيم أنيس قائلاً: "خذ مثلا تلك العبارة العامية "لا يا شيخ؟! " وتذكر أنك تستطيع أن تنطق بها بعدة نغمات، وهي مع كل نعمة من تلك النغمات تفيد دلالة خاصة، فهي مرة بمجرد الاستفهام وأخرى للتهكم والسخرية وثالثة للدهشة والاستغراب وهكذا"³². فثبت من ذلك قد تكون للكلمة الواحدة عدة دلالات، لا يفرق بينها إلا اختلاف النعمة في النطق. ونقول في النهاية إن السياق له دور فعال في ارتياد المعنى الصحيح والإيصال إليه ولا

يمكن لأحد أن يفهم الدلالة المطلوبة لنص من النصوص وصوت من الأصوات إلا إذا راعى ظروفه السياقية.

References

- ¹ Dr. Muhammad Ahmed Hammad, *Madkhal Ila al Tafkir al Dilali*, Dar ul Saqafa al Arabiya, 1998.
- ² Abu al Fateh Usman ibn Jinni, *Al Khasais*, Editing: Muhammad Ali al Najjar, al Hiyat al Misriyya al Amma lil Kuttub, 3rd edition, 1986.
- ³ Ali Ahmed Baksir, *Fann ul Masrahiyya min Khilal Tajarbi al Shakhsiyya*, Maktaba Misar, al Fujala, p 4. .
- ⁴ *Fann ul Masrahiyya min Khilal Tajarbi al Shakhsiyya*, p 4.
- ⁵ *Fann ul Masrahiyya min Khilal Tajarbi al Shakhsiyya*, p 6.
- ⁶ *Fann ul Masrahiyya min Khilal Tajarbi al Shakhsiyya*, p 6.
- ⁷ *Fann ul Masrahiyya min Khilal Tajarbi al Shakhsiyya*, p 6.
- ⁸ *Fann ul Masrahiyya min Khilal Tajarbi al Shakhsiyya*, p 6.
- ⁹ Dr. Tammam Hassan, *al Byan fi Rawaih al Qur'an*, Editing: Abdul Khaliq Sarwat, Aalm al Kutub, Cairo, 1993, p 8.
- ¹⁰ *al Byan fi Rawaih al Qur'an*, p 9.
- ¹¹ Abu Mansoor Muhammad ibn Ahmed al Azhari, *Tehzib al Lugha*, bab al Qaaf was Sin, root words 'Qawus', editing team: Muhamad Ewadh Murehb, Umar Salama, Abd ul Karim Hamid, Dar Ehya al Turas al Arabi, 1st edition, 2001, 9/185.
- ¹² Ismail ibn Hammad al Johari, *Al Sihah*, bab al Qaf, faʿl Sin, editing: Ahmed Abd al Ghafoor Attar, Dar ul Ilm lil malyyein, Beirut-Lebanon, 1st editin, 1987, 4/1499.
- ¹³ Syed Murtaza al Hussaini al Zubaidi, *Taj al Uroos min Jawahir al Qamoos*, Editing: Ibrahim al Tarazi, reviewed by the appointed a technical and research committee under the supervision of Mustafa Hijazi, Dar Ehya al Turas al Arabi, Beirut- Labonan, vol. 25, pp 472, 475, 481, 483.
- ¹⁴ Abu Usman Amar ibn Bahr al Jahiz, *Al Bayan wa al Tabyeen*, Editing: Abd al Salam Muhammad Haroo, Makatab al Khanji Cairo, 7th edition, 1998, 1/136..
- ¹⁵ *Al Bayan wa al Tabyeen*, 1/138.
- ¹⁶ Imam Abd ul Qahir al Jurjai, *Dalail ul Ijaz*, Editing: al Syed Rashid Raza, Dar al Marifa, Beirut-Lebanon, 3rd edition, 2001, p 70.
- ¹⁷ Dr. Tamam Hassan, *Al Lugha Al Arbiya Mahnaha wa Mabnaha*, Shareh Faktoor Hiko, al Dar al Bidha, Morocco, p 337.
- ¹⁸ Imam Muhammad ibn Idris al Shafi, *Al Risala*, editing: Ahmed Muhammad Shakir, Dar al Kutub al Ilmiya, Beirut-Lebanon, pp 51-52.
- ¹⁹ Manah Khalil al Qattan, *Mabahis fi Uloom al Qur'an*, Cairo, 6th edition, p 321.
- ²⁰ Dr. Mahmood al Sahran, *Ilm ul Lugha Muqadima lil Qari al Arabi*, Dar ul Nahdha al Arabiya, Beirut, p 311.
- ²¹ Dr. Tamma Hassan, *Manahij al bahs fi al Lugh*, Makataba al Anjlu al Misriyya, Cairo, p 261.
- ²² *Madkhal Ila al Tafkir al Dilali*, p 39.
- ²³ Key Thinkers in Linguistics and the Philosophy of Language. Pp: 80-86. Link: Chapman, S. & Routledge, P. eds 2005
- ²⁴ Jar Allah Abu al Qasim Mahmood ibn Umar al Zamkshshri, *al Kashaf an Haqaiq Ghawamidh al Tanzil wa Uyyun al Aqawil fi Wojooth al Tahweel*, Editing: al Shikh Adil

Ahmed Abd al Mojood, a; Shikh Ali Muhammad Mohawadh, Makatab al Abikan, Riyadh, Isth edition, 1998, 3/260.

²⁵ *al Kashaf an Haqaiq Ghawamidh al Tanzil wa Uyyun al Aqawil fi Wojooch al Tahweel*, 2/462.

²⁶ *al Kashaf an Haqaiq Ghawamidh al Tanzil wa Uyyun al Aqawil fi Wojooch al Tahweel*, 5/583.

²⁷ Asir ul Din Abu Abd Ullah Muhammad ibn Yousuf ibn Ali ibn Yousuf ibn Hayyan al Andulusi, editing: Shikkh Adil Ahmed Abd al Mojood, Dar ul Kutub al Ilmiyya, Beirut-Lebanon, 1st edition, 1993, 3/137.

²⁸ *al Kashaf an Haqaiq Ghawamidh al Tanzil wa Uyyun al Aqawil fi Wojooch al Tahweel*, 3/284.

²⁹ Dr. Muhammad Salim Saleh, Research Paper Entitled: “*Principles of Modern Contextual Theory and its Role in Approaching to the Correct Meaning*” p 1.

³⁰ *Madkhal Ila al Tafkir al Dilali*, p 36.

³¹ Dr. Ibrahim Anis, *Dilalah ul Alfaz*, Maktaba al Anjlu al Misriyya, 4th edition, 1980, p 44.

³² *Dilalah ul Alfaz*, p 47.